الفلك المشحون

قراءة فيلولوجية في ضوء اللغات السامية المقارنة

إعداد الباحث: نضال رستم

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى إعادة قراءة التعبير القرآني "الفُلْك المَشْحُون" والألفاظ المرتبطة به مثل "الذُّرِّيَّة" و"أبق" في سياق قصتي طوفان نوح ويونس، وذلك بالاستناد إلى منهج الفيلولوجيا (فقه اللغة) المقارن للغات السامية. تنطلق الورقة من إشكالية دلالية ومنطقية في التفسير التراثي الإسلامي؛ حيث جرى تأويل "الذرية" على أنها النسل المستقبلي، و"المشحون" بمعنى السفينة الممتلئة أو الموقرة بالحمولة، وتأويل "أبق" بفرار العبد الآبق، وهو ما يطرح تساؤلات حول دقة هذا الوصف لغوياً وتاريخياً ومنطقياً.

من خلال التحليل المعجمي والصوتي المقارن—الذي يشمل السريانية، والآرامية، والمندائية، واللغات العربية الجنوبية المعاصرة—ومقاطعة ذلك مع أدبيات الشرق الأدنى القديم (تحديداً النص السرياني لسفر التكوين)، تُرجّح الدراسة أن لفظ "ذرية" يعود إلى تقاطع دلالي مع الجذر السرياني (ܕܳܪܳܐ - Doro) الذي يعني "الجيل" أو "القبيلة المعاصرة". كما تخلص الدراسة إلى نتيجة جوهرية مفادها أن لفظ "المشحون" ليس مشتقاً من دلالة "الملء"، بل هو نتاج تطور تاريخي لظاهرة "الإبدال الصوتي" وانهيار الحروف الحلقية للجذر السرياني الآرامي (ܥܳܕ / šaʿ - ܥܚܡ)، والذي يعني "المُسيَّع" أو "المطلي بالقار". وعلاوة على ذلك، تُقدم الدراسة قراءةً فيلولوجيةً مُزدوجةً للفعل (أَبَقَ) ترفع الإشكال الدلالي والمنطقي؛ الأول بربطه بالجذر السرياني (بَقْ) الذي يصف الحالة الفيزيائية للسفينة (الغليان والنخر) وسط اضطراب الأمواج، والثاني -وهو الأرجح صرفياً ونحوياً- بردّه إلى أصله السرياني (ܐܦܶܩ - Appeq) بمعنى 'خرج' أو 'انطلق'. وهذا التخريج الأخير يحل ببراعة الإشكاليات النحوية المتعلقة بحرف الجر (إلى)، ويُنزّه مقام النبوة عن دلالة 'الهروب والعبودية'، ليُعيد صياغة المشهد الدرامي للنجاة بما يتسق تماماً مع التقاليد اللغوية والتاريخية للعالم القديم, مع تسليط الضوء على قراءة تصحيفية محتملة (أنق) يدعمها مخطوط سرياني لقصة يونس (يونان).

1. المقدمة

ورد التعبير القرآني "الفُلك المشحون" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع حصرية ضمن سور مكية؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (يس: 41)، وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء: 119)، وقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الصافات: 140). وقد استقر في المدونة التفسيرية التراثية، كما أورد الماوردي وغيره، أن كلمة "المشحون" تدور دلالتها حول معنيين متقاربين: "الموقر" (أي المثقل بالحمولة) أو "المملوء."

وعلى الرغم من استقرار هذا التفسير لقرون، إلا أن القراءة النقدية للسياق القرآني في ضوء المعطيات المنطقية والتاريخية تثير إشكاليات دلالية تستوجب إعادة النظر .**الإشكالية الأولى** تتجلى في الآية (41) من سورة يس، حيث يطرح السياق تساؤلاً حول استخدام لفظ "ذريتهم"؛ فالمتعارف عليه لغوياً أن الذرية تُطلق على الأولاد والنسل المستقبلي، في حين أن الحدث التاريخي المتعلق بالنجاة في سفينة نوح يقتضي منطقياً الإشارة إلى "الأسلاف" أو "الآباء" أو الجيل المعاصر للحدث.

أما **الإشكالية الثانية** فتتعلق بلفظ "المشحون" ذاته. فإذا كان الفلك "مملوءاً" أو "مزدحماً" قبل ركوب الناجين، فكيف اتسع لهم؟ يطرح هذا التناقض المنطقي احتمالية أن تكون الدلالة الأصلية للكلمة قد تعرضت لانزياح دلالي بمرور الزمن، أو أنها استُعيرت من بيئة لغوية سامية مجاورة بمعنًى مختلف تماماً عن الشائع في المعاجم العربية المتأخرة.

الإشكالية الثالثة تبرز في قصة يونس مع الفعل (أبق)؛ حيث حصرته المعاجم في دلالة "هروب العبد"، مما أوجد فجوة في "السباك القرآني" بين الفعل وحرف الجر (إلى)، وبين الحادثة والنتيجة المباشرة (فساهم). ستبين هذه الدراسة كيف أن القوانين الصرفية السامية (مثل إدغام النون والإبدال الشفوي) تحول الفعل السرياني (Appeq) إلى (أبق) بجمالية لغوية ودقة حركية مذهلة."

أهمية البحث ومنهجيته

تكمن الأهمية الجوهرية لهذه الدراسة في تقديمها حلاً علمياً لإشكاليات دلالية استعصت على المفسرين، وذلك دون اللجوء في الدرجة الأولى إلى فرضيات "الخطأ في النقل" أو "التصحيف" التي يتبناها بعض الباحثين والمستشرقين المعاصرين بحدة. فبدلاً من افتراض وجود أخطاء نُسخية أو تنقيطية في تدوين النص القرآني مباشرة، تعتمد هذه الدراسة على الفهم التاريخي العميق لـ "تطور اللغة" وقوانين "التبادل الصوتي" المطردة في العائلة السامية, دون اهمال تلك الفرضيات.

تأسيساً على ما سبق، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة بديلة متماسكة لتعبير "الفلك المشحون" وما ارتبط به من ألفاظ كـ "الذرية" و"أبق"، معتمدة على المنهج الفيلولوجي المقارن. وتنتقل الورقة في مباحثها التالية لتفكيك هذه الدلالات سريانياً، ثم استعراض النظائر السامية، وتتبع التبادل الصوتي للحروف الحلقية الذي أدى إلى ظهور اللفظ بشكله الحالي.
تؤكد هذه الورقة كقاعدة أساسية، أن دراسة النظائر السامية (Semitic Cognates) ليست مجرد ترف أكاديمي أو استعراض لغوي، بل هي المفتاح المنهجي الأدق والبوصلة الأوثق للوصول إلى المعاني العتيقة والأصلية لألفاظ القرآن الكريم. فالنص القرآني نزل في بيئة لغوية تتنفس المفردات السامية المشتركة، والتقوقع داخل المعاجم العربية المتأخرة—التي كُتبت بعد قرون من التنزيل وعانت من الانزياح الدلالي—يؤدي حتماً إلى إشكالات في الفهم. لذا، فإن تتبع الجذر في اللغات (الأكادية، الأوغاريتية، العبرية، والسريانية) هو السبيل الأمثل لتحرير النص القرآني من التكلف التفسيري.

2. المبحث الأول: الإشكالية الدلالية للفظ "ذريتهم" والجذر السرياني (ܕܪܐ)

يتوقف الباحث الفيلولوجي أمام التعبير القرآني في سورة يس: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. تكمن الإشكالية هنا في الدلالة المعجمية العربية لكلمة "ذرية"؛ إذ يُتعارف عليها بأنها تُطلق حصراً على "الأولاد" أو "النسل المستقبلي". وإذا افترضنا—وفق السياق—أن المقصود بـ "الفلك" هنا هو سفينة نوح، فإن حمل الأسلاف والآباء المؤسسين هو الحدث المحوري للنجاة، مما يجعل استخدام لفظ يدل على "النسل المستقبلي" مفارقة منطقية تستدعي التفسير.

لحل هذا اللبس، يوجه المنهج المقارن أنظارنا نحو اللغات السامية الشقيقة، وتحديداً السريانية، حيث نجد جذراً لغوياً يتقاطع صوتياً مع "الذرية" ويقدم حلاً دلالياً متسقاً مع السياق. يتمثل هذا الجذر في كلمة دُرُ (ܕܳܪܳܐ /Doro). في المعاجم السريانية والآرامية، لا تقتصر دلالة هذا الجذر على النسل، بل تمتد لتشمل معاني أوسع بكثير، منها: "الدَّهْر"، "الجِيل"، "القَرن"، و"القَبِيلَة."

النظائر السامية للجذر (د – ر)

يوضح الجدول التالي أن الدلالة الأصلية (Proto-Semitic) للجذر تتعلق بالحُقبة الزمنية والجيل المعاصر:

اللغة السامية	الجذر / الكلمة	النقحرة	المعنى الموثق
الأكادية	dāru / dār	دارو	العصر، الحقبة، الجيل من الناس
الأوغاريتية	dr	د ر	العائلة، القبيلة، الجيل
العبرية	דּוֹר	دُور(Dor)	الجيل، المعاصرون في حقبة زمنية
السريانية	ܕܳܪܳܐ	دُورو(Doro)	الجيل، القبيلة المعاصرة

بناءً على هذه المعطيات، يمكن إعادة توجيه المعنى المقصود في الآية الكريمة؛ فالإشارة بـ "ذريتهم" لا تعني حصراً الأبناء الذين لم يولدوا بعد، بل تعني "قبيلة نوح" أو "الجيل الذي عاصره" (بما في ذلك أولاده ونساؤهم ومن آمن معه). وعودة الضمير في "ذريّتـ(ـهم)" يشير إلى البشرية بشكل عام، أي: (حملنا ذلك الجيل وتلك القبيلة التي تمثل نواتكم الأولى في الفلك). هذا الفهم المستمد من الجذر (Doro) يُزيل التعارض المنطقي، ويؤكد عمق الارتباط بين الألفاظ القرآنية وبيئتها السامية.

3. المبحث الثاني: النظائر السامية وتحليل الدلالات المعجمية لجذر (شحن)

للوقوف على التطور الدلالي لجذر (ش-ح-ن)، لا بد من استعراض نظائره في اللغات السامية المختلفة، وخاصة اللغات العربية الجنوبية الحديثة والآرامية الفلسطينية، لبيان مدى استقامة معانيها مع السباك القرآني.

اللغة السامية	***الجذر***	***النقحرة اللاتينية***	***المعنى الموثق في المعاجم***
الآرامية الفلسطينية	*ś/s-ḥ-n*	*səḥan / śḥn*	*شَحَنَ / شَحْنٌ*
المهرية	*ś-ḥ-n*	*śátḥən / śəḥān / śəḥáyn*	*شُحِنَ، غَضِبَ / شَحَنَ، حَشَا مُسَدَّسًا / غَضِبٌ*
الجبالية	*ś-ḥ-n*	*məśḥín / śḥán*	*غَضِبٌ / حَشَا مُسَدَّسًا*
الحرسوسية	*ś-ḥ-n*	*śeḥān / śḥant aġzāl*	*شَحَنَ / ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ*
السقطرية	*š-ḥ-n*	*šḥan / šḥón*	*شُحِنَ / شَحَنَ*

المصدر المرجعي للغات الجنوبية: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية وما يقابله في المعاجم السامية

مناقشة الدلالات وتبرير الاستبعاد :بالنظر إلى الجدول أعلاه، نجد أن الجذر يتردد بين دلالات ثلاث رئيسية في هذه اللغات:

1. **الامتلاء والحشو :**كما في المهرية والجبالية "حشا مسدساً"
2. **الانفعال العاطفي:** الغضب والاحتقان، وهو امتداد مجازي للامتلاء.
3. **دلالات نباتية :**كالحرسوسية "ضرب من النبات "
بالإضافة لذلك، يأتي الجذر الآرامي (ܫܚܢ - شْحِن) بمعنى: سَخُن، حَمي، أو هاج.

إذا حاولنا إسقاط هذه الدلالات (الغضب، الهيجان، حشو السلاح، أو حتى الامتلاء) على قوله تعالى "الفلك المشحون"، فإن المعنى لا يستقيم منطقياً ولا تاريخياً. فوصف السفينة بـ "المشحونة" بمعنى (الغاضبة/الهائجة) لا يتسق مع كون الفلك جماداً ووسيلة نجاة، وإسقاط دلالة (المملوءة) يعيدنا إلى التناقض المنطقي الأول: كيف يركبون في سفينة وُصفت سلفاً بأنها "ممتلئة ومكتظة"؟

السياك القرآني في سورة يس كدليل قاطع (الآيتان 41-42 :(يتأكد بطلان دلالات (الغضب، الهيجان، والامتلاء) بالنظر بعمق في السياك القرآني للآيات المتتابعة في سورة يس. فبعد قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41)﴾، يقول تعالى مباشرة: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42)﴾ .لو افترضنا—جدلاً—أن "المشحون" يصف الفلك بكونه "غاضباً" أو "هائجاً"، فكيف يستقيم المعنى مع الآية التالية؟ هل يُعقل أن يمتنّ الله على البشر بخلق سفن "غاضبة وهائجة" أو "مكتظة بصورة خانقة" ليركبوها؟ المعنى هنا لا يستقيم إطلاقاً ويتنافى مع مقصد الامتنان بالنعم.

في المقابل، إذا أخذنا بالمعنى الفيلولوجي الدقيق (المُسيَّع/المطلي بالقار المانع للغرق)، فإن الآية (42) تستقيم تماماً وبصورة بالغة الدقة؛ حيث يمتن الله بأنه علم البشرية ومكّنها من صناعة سفن معزولة ومطلية بنفس التقنية الهندسية المحكمة التي صُنع بها فلك نوح الأول، لتكون وسيلة ركوب آمنة عبر العصور.

ولذلك، فإن الدلالات في اللغات الجنوبية (كالغضب والاحتقان) تمثل تطوراً دلالياً ثانوياً متأخراً (Secondary Semantic Shift)، مما يحتم علينا العودة إلى الأصل الصناعي والهندسي.

4. المبحث الثالث: التطور الصوتي للجذر السرياني شَعْ (ܥܫ) وظاهرة الإبدال

بناءً على قصور النظائر السامية المذكورة في المبحث السابق عن تقديم تفسير سياقي مقنع، تبرز الحاجة لتتبع الأصل التاريخي للفعل. فكلمة "شحن" في هذا السياق هي نتاج تطور تاريخي من الجذر الآرامي-السرياني (ܫܥܢ - ش ع ن)، والذي تعود أصوله المورفولوجية إلى الجذر الثنائي **شَعْ (ܫܥ- ʿšaʿ)**.

في المعاجم السريانية الآرامية، نجد أن الفعل شَعْ (ܫܥ šaʿ - يحمل دلالات صناعية وهندسية واضحة تعني: "سيَّع، طيَّن، دهن، طلى، أو قيَّر" (أي عزل الهيكل بمادة القار). وهذا الوصف يتطابق تماماً مع عملية بناء السفن قديماً لحمايتها من تسرب المياه.

التطور الصوتي وانهيار الحروف الحلقية :من الناحية الفيلولوجية، كيف تحولت (ش ع ن) إلى (ش ح ن)؟ للإجابة عن ذلك، نعود إلى قواعد "التطور الصوتي التاريخي" في اللغات السامية. إن الحروف الحلقية (الهمزة "أ"، العين "ع"، الحاء "ح"، والهاء "هـ") تشترك في مخرج صوتي واحد أو مخارج شديدة التقارب في الحلق، مما أدى إلى انتشار ظاهرة "التبادل الصوتي" أو "الإبدال."

وتتضح هذه الظاهرة من خلال التوزيع الجغرافي:

1. **السريانية الشرقية والمندائية :**كلما اتجهنا شرقاً، نلاحظ ضعفاً في نطق الحروف الحلقية، وصولاً إلى ما يُعرف بـ "انهيار الحروف الحلقية" في المندائية. ففي هذه اللغة، تُعامل العين والحاء والهاء كحرف واحد. على سبيل المثال، كلمة "عالم" (ܥܠܡܐ) تُنطق مبدوءة بالألف، وكلمة "حيّ" تُنطق "أيّ."

2. **السريانية الغربية والعربية :**كلما اتجهنا غرباً وجنوباً، تظل مخارج الحلق (العين والحاء) قوية. ومع ذلك، فإن التقارب الشديد بين المخرجين يؤدي إلى تبادلات لغوية ملحوظة (الإبدال اللغوي). ومن أمثلة ذلك:

   - **العين ← ألف/همزة :** كلمة "أرض" العربية يقابلها بالسريانية "أرعا" (ܐܰܪܥܳܐ).
   - **الحاء ← عين :**وهو ما عُرف عند النحاة العرب بظاهرة "العنعنة"، حيث تُقلب الهمزة أو الحاء عيناً لتشابه المخرج.

الخلاصة الفيلولوجية :بناءً على قانون التبادل الصوتي، فإن انتقال الفعل من (ش ع ن) بالسريانية، بمعنى الطلاء والتسييع بالقار، إلى (ش ح ن) باللغة العربية، هو تطور صوتي مطرد. وعليه، فإن وصف الفلك بأنه "مشحون" يعني هندسياً أنه "مُسيَّع" أو "مُطلى بالقار"، وهو التجهيز الأساسي لأي سفينة قبل الإبحار.

5. المبحث الرابع: المقارنة مع أدبيات الشرق الأدنى القديم والنص الكتابي

لتعزيز الفرضية الفيلولوجية القائلة بأن "المشحون" تعني "المطلي بالقار"، يجب وضع النص القرآني في سياقه التاريخي الأوسع ومقارنته بأدبيات الشرق الأدنى القديم المتعلقة بقصة الطوفان.

تُعد عملية طلاء السفينة بالقار (القير) لضمان عزلها المائي عنصراً أساسياً ومتواتراً في المرويات القديمة للطوفان. ففي "ملحمة جلجامش" البابلية (اللوح الحادي عشر)، نجد إشارات واضحة لاستخدام مادة القار (Kupru) في الأكادية لعزل السفينة التي بناها "أوتونابشتيم."

وبالانتقال إلى النص الكتابي في العهد القديم، نجد تطابقاً مذهلاً في التفاصيل الهندسية. فقد جاء في سفر التكوين (6: 14) توجيه لنوح بصناعة الفلك" *اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ."*

وما يؤكد الارتباط اللغوي الذي ذهبنا إليه في المبحث الثالث، هو النص السرياني المقابل لهذه الآية في طبعة البشيطتا:

ܥܒܶܕ ܠܳܟ ܩܺܒܽܘܬܳܐ ܕܩܰܝܣܳܐ ܕܥܽܘܪܩܳܐ: ܡܕܺܝܪܶܐ ܥܒܶܕܝܗ̇ ܠܩܺܝܒܽܘܬܳܐ: **ܘܫܽܘܥܝܺܗ̇** ܡܶܢ ܠܒܰܪ ܘܡܶܢ ܠܓܰܘ ܒܟܽܘܦܪܳܐ.

ونقحرة النص السرياني بالخط العربي هي:
عبيذ لُخ قيبوتو دقَيسو دعُرقو، مِديُر عبِدِيه لقيبوتو، **وشوعِيه** مِن لبَر ومِن لغَو بكوُفرو.

الشاهد اللغوي المحوري هنا هو الفعل السرياني (ܘܫܽܘܥܝܺܗ̇ - وشوعِيه)، المشتق من الجذر الثنائي (ܫܥ - šaʿ) بمعنى (طلى/سيّع). وهذا التطابق اللفظي والدلالي يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الدلالة السامية المشتركة لهذا الجذر في سياق سفينة الطوفان تتعلق حصراً بعملية العزل والطلاء (التسييع) بالقار (الكوفرو/القفر)، وهو ما يعادل وصفها في القرآن بأنها "مشحونة."

6 .**المبحث الخامس**: إشكالية الفعل (أبق) في قصة يونس (مقاربتان فيلولوجيتان)

ترد عبارة "الفلك المشحون" في موضع ثالث في سورة الصافات في سياق قصة يونس: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141)﴾ .تطرح كلمة "أبق" إشكالية دلالية كبرى؛ ففي المعاجم العربية تأتي بمعنى: هرب وفرَّ، ولا تُستخدم غالباً إلا لفرار العبد من سيده. وهذا يطرح إشكالية عقدية ومنطقية حول وصف نبي بالعبد الآبق، فضلاً عن الإشكالية النحوية في استخدام حرف الجر (إلى) بدلاً من (من) الفلك، واضطراب التسلسل المنطقي للأحداث (إذ كيف يكون "الهروب" سبباً مباشراً لإجراء القرعة بحرف الفاء التعقيبي في "فساهم"؟).

لحل هذه الإشكالية، يقدم المنهج الفيلولوجي المقارن للغات السامية ثلاث مقاربات ترفع الإشكال تماماً:

الوجه الأول: المقاربة الفيزيائية (حالة السفينة واضطراب الموج) بمقارنة النص بسريانية الكتاب المقدس لقصة يونان (يونس)، نجد أن النص السرياني يصف اضطراب السفينة بالفعل (ܬܒܰܪ - تبَر) أي: انكسر

وانسحق (سفر يونان 1: 4). وبالعودة إلى الفعل السرياني الآرامي المقارب (ܒܩ - بَقْ)، نجد أنه يحمل دلالات هندسية وحركية تعني: نَخِرَ، بَلِيَ الخشب، أو غَلى، غَطغَط، بَقبَق .وفقاً لهذا الوجه، إذا اعتبرنا حرف (إلى) مقابلاً لـ "لام التقوية" السريانية (Dativus ethicus) ، يُقرأ التعبير سريانياً: (بَقّ للفلك المُسيَّع)، أي كادت السفينة أن تنخر وتبلى، أو أُحيطت ببقبقة الأمواج، مما يبرر منطقياً اللجوء المباشر لإجراء القرعة (فساهم) لتخفيف الحمولة.

الوجه الثاني: المقاربة الصرفية لحركة النبي (وهي الأرجح والأدق نحوياً) على الرغم من وجاهة الوجه الأول، إلا أن تتبع التطور الصرفي للفعل يقودنا إلى تخريج أكثر إحكاماً ودقة، يحل العقدة النحوية المتعلقة بالفاعل وحرف الجر. يتمثل هذا الوجه في إرجاع كلمة (أبق) إلى الفعل السرياني (ܐܦܶܩ Appeq) وهذا التخريج يستند إلى القواعد الصرفية والصوتية المطردة في اللغات السامية:

1. الأصل السرياني :الفعل (ܐܦܶܩ Appeq) هو صيغة التعدية أو الإفعال (Aphel) من الجذر السرياني الشهير (ܢܦܩ N-P-Q) والذي يعني أساساً "خَرَجَ"، "طَلَعَ"، أو "انطلق."
2. الظاهرة الصوتية (سقوط النون) :في قواعد السريانية والآرامية، عند صياغة الفعل (ن ف ق) على وزن (أفعل)، تسقط النون إدغاماً، فيصبح الفعل (أپَق Appeq)
3. الإبدال الشفوي :(P ➔ B) إن انتقال حرف "الپاء" السرياني(ܦ - P) إلى حرف "الباء" العربي - (B - ب) هو تطور صوتي شفوي بديهي ومطرد في التعريب اللغوي. النتيجة النهائية لهذا التطور هي تطابق لفظي تام: (أپق ➔ أبق).

النظائر السامية للجذر (ن ف ق / أپ ق)

يؤكد التتبع المعجمي أن الجذر يصف فعلاً حركياً للانطلاق دون أي دلالة سلبية:

اللغة السامية	**الفعل / الجذر**	**النقحرة**	**المعنى الموثق**
العبرية	נָפַק	نافَق	خرج، برز، صدر إلى الخارج
السريانية	ܢܦܩ	نْفَق	خرج، انطلق، غادر
السريانية	ܐܦܶܩ	أپَّق(Appeq)	أخرج، طَلَع، انطلق إلى

حل العقدة النحوية والسباك القرآني :بتبني هذا الوجه (أبق = Appeq = خرج/انطلق)، تُحل الإشكاليات بضربة واحدة:

- الفاعل :يعود الفاعل بشكل طبيعي وسلس إلى النبي يونس، متجاوزاً التكلف النحوي في إسناد الفعل للسفينة.
- حرف الجر :يستقيم استخدام حرف الجر (إلى) تماماً وبلا أي تكلف، فتصبح الجملة: إذ خرج / انطلق إلى الفلك المشحون.
- تنزيه النص :ينسف هذا الفهم تماماً إشكالية "فرار العبد"، ليصف حركة انتقال مكانية طبيعية لنبي ينطلق نحو سفينة معدة (مسيّعة) سلفاً.

الوجه الثالث: التصحيف وخطأ النقل الذي لا نهمله مع قرينة من مخطوط سرياني لقصة يونس (يونان), طبعة الأب بولس بجان, المجلد الرابع, الصفحة 378 من المقالة 122 في يونان النبي لمار يعقوب السروجي (ܝܥܩܘܒ ܣܪܘ ܓܝܐ) (451م. – 521م.) من مخطوطة سريانية محفوظة في المكتبة البريطانية (المتحف البريطاني سابقاً) في لندن، تحت الرقم والفهرس الرسمي: Add MS 14591. نقلها باللغتين السريانية والعربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني في كتاب يحمل عنوان: يعقوب السروجي, يونان النبي والنداء الى نينوى سنة 2008م.

في البيت الشعري 211: ܟܲܪܟܹܗ ܬܗܘܡܐ ܘܐܬܬܨܝܕ ܓܲܒܪܐ ܢܩܹܐ ܠܥܪܘܩܝܐ

نقحرته العربية: كَركِه تهومو وإتّصير چَبُرو نقِ (nqe) لَعروقُيو.

وترجمته المعنوية بحسب الأب إميل أبي حبيب الأنطوني: فأدركته اللجّة, وضُبط الرجل العاكف على الهرب.

نلاحظ اسم الفاعل نقِ (nqe- ܢܩܹܐ) في النص السرياني وماضيه (ܐܶܢܰܩ, إنَق, ENAQ) ومن المحتمل ان تكون كلمة (أبق) هي (أنق) أي العاكف الى الفلك المشحون, فحسب السردية الشعرية لمار يعقوب السروجي وأيضا نص الكتاب المقدس سفر يونان (1: 5) نزل يونان الى "جوف السفينة" فضبط هناك بحسب النصين الشعري والكتابي, وفي القرآن تتوافق الآيات مع النصين بهذا التفسير فاذ اعتكف الى الفلك, فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ.

7.الخاتمة

تخلص هذه الدراسة، من خلال توظيف منهج الفيلولوجيا المقارنة للغات السامية، إلى ضرورة إعادة النظر في التفسير الشائع لبعض الألفاظ القرآنية المرتبطة بقصة الطوفان، مقترحةً مقاربات تحل الإشكاليات المنطقية والدلالية الأصيلة للغة. وقد أسفر البحث عن نتائج جوهرية:

أولاً :أن لفظ "الذرية" في قوله تعالى ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ لا يقتصر على النسل المستقبلي كما هو شائع في المعاجم العربية المتأخرة، بل يرتبط دلالياً بالجذر السرياني (ܕܳܪܳܐ Doro - الذي يعني "الجيل" أو "القبيلة". هذا التفسير يزيل الإشكال المنطقي، ويجعل اللفظ وصفاً دقيقاً للجيل المعاصر لنوح.

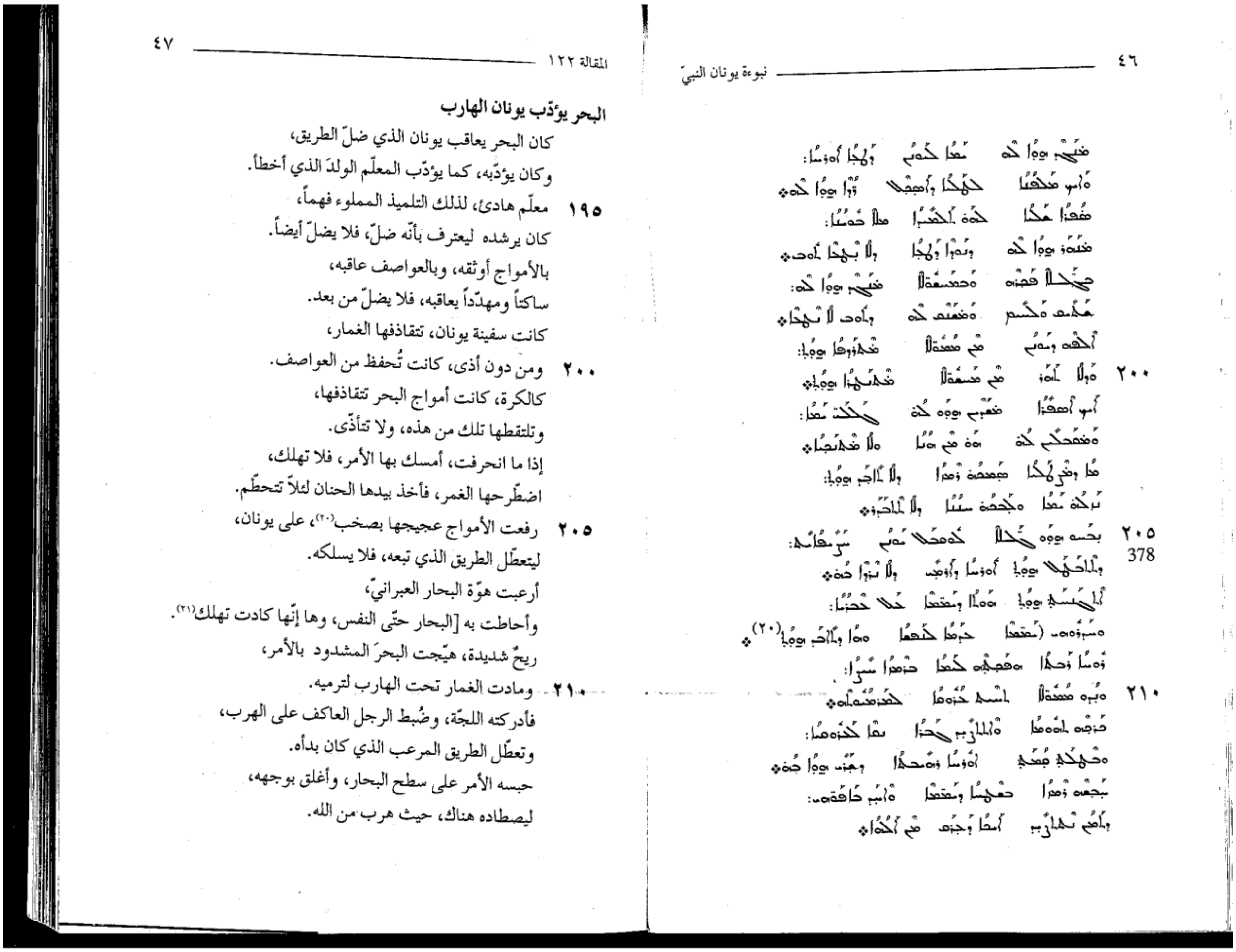
ثانيًا : أن التعبير القرآني "الفلك المشحون" لا يصف حمولة السفينة بكونها (مملوءة أو مزدحمة)، بل يصف حالتها الفيزيائية وتجهيزها. فكلمة "مشحون" هي تطور صوتي تاريخي مطرد عن الجذر السرياني الآرامي (ܥܛܡ) والأصل (ܥܛܕ) الذي يعني "المُسيَّع" أو المطلي بالقار.

ثالثاً : قدمت الدراسة قراءة مستحدثة للفعل "أبق" في قصة يونس من خلال مقاربتين فيلولوجيتين ترفعان إشكالية "فرار العبد". الأولى تقارب الكلمة من الجذر (بَقْ) لوصف غليان الموج واضطراب السفينة.
والثانيةـــوهي الأرجح والأكثر إحكاماًـــتُرجع اللفظ إلى التطور الصوتي والصرفي للفعل السرياني (ܐܰܦܶܩ Appeq) المشتق من (ܢܦܩ) بمعنى "خرج" أو "انطلق"، وذلك عبر ظاهرتي إدغام النون والإبدال الشفوي .(P ➔ B) هذا التخريج الأخير يحل كافة الإشكاليات النحوية المتعلقة بالفاعل وحرف الجر (إلى)، ويحقق تسلسلاً منطقياً رصيناً لاضطراد الأحداث (انطلق إلى الفلك ـــ>ركب فهاج البحر ـــ>فساهم)، ويُحقق هذا الفهم اللغوي التوافق التام مع التقاليد والنصوص التاريخية في الشرق الأدنى القديم، ويُقدم تفسيراً منطقياً متسقاً يعفينا من التساؤلات التقليدية المربكة، معيداً ربط الألفاظ القرآنية بجذورها السامية العميقة وبيئتها التاريخية الدقيقة.
رابعًا : لم تغفل الدراسة المقارنة بالمخطوطات واحتمالية أخطاء النساخ مع ترجيح فرضيات الأصل التاريخي لتطور اللغة العربية.

نضال رستم
11.04.2026

إقرار: الأفكار الأساسية والتحليل الفيلولوجي والاستنتاجات هي نتاج جهد بحثي أصيل للباحث. تمت الاستعانة بتقنيات الذكاء الاصطناعي لأغراض المراجعة اللغوية والتنظيم الهيكلي فقط.

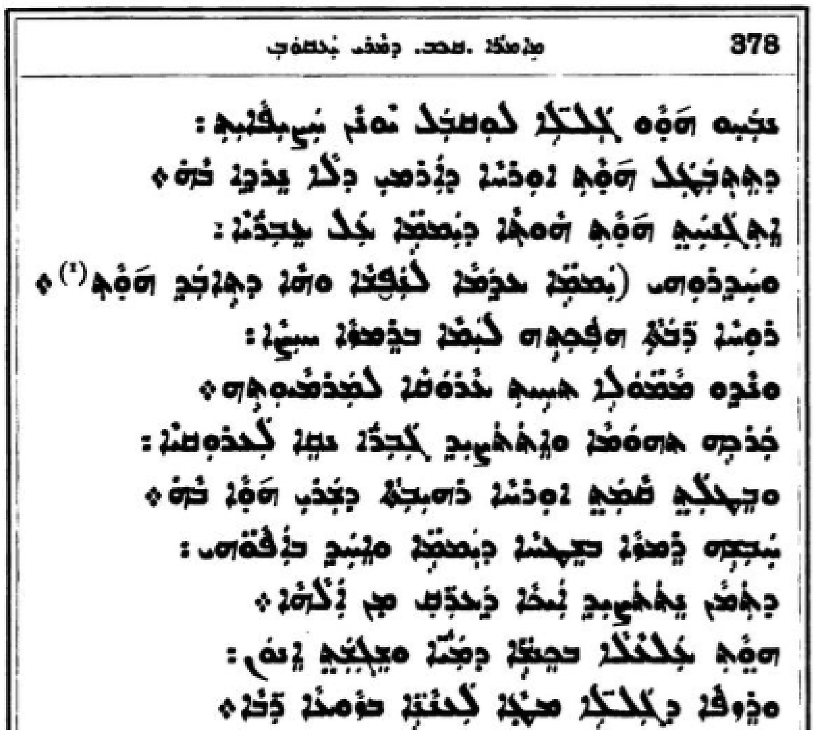
صورة مرفقة الصفحة 46 من كتاب يونان النبي والنداء الى نينوى المقطع 211 ليعقوب السروجي



البحر يؤدّب يونان الهارب

كان البحر يعاقب يونان الذي ضلّ الطريق،
وكان يؤدّبه، كما يؤدّب المعلّم الولدَ الذي أخطأ.
١٩٥ معلّم هادئ، لذلك التلميذ المملوء فهماً،
كان يرشده ليعترف بأنّه ضلّ، فلا يضلّ أيضاً.
بالأمواج أوثقه، وبالعواصف عاقبه،
ساكناً ومهدّداً يعاقبه، فلا يضلّ من بعد.
كانت سفينة يونان، تتقاذفها الغمار،
٢٠٠ ومن دون أذى، كانت تُحفظ من العواصف.
كالكرة، كانت أمواج البحر تتقاذفها،
وتلتقطها تلك من هذه، ولا تتأذّى.
إذا ما انحرفت، أمسك بها الأمر، فلا تهلك،
اضطّرحها الغمر، فأخذ بيدها الحنان لئلاّ تتحطّم.
٢٠٥ رفعت الأمواج عجيجها بصخب[٢٠]، على يونان،
ليتعطّل الطريق الذي تبعه، فلا يسلكه.
أرعبت هوّة البحار العبرانيّ،
وأحاطت به [البحار حتّى النفس، وها إنّها كادت تهلك[٢١].
ريحٌ شديدة، هيّجت البحرَ المشدود بالأمر،
٢١٠ ومادت الغمار تحت الهارب لترميه.
فأدركته اللجّة، وضُبط الرجل العاكف على الهرب،
وتعطّل الطريق المرعب الذي كان بدأه.
حبسه الأمر على سطح البحار، وأغلق بوجهه،
ليصطاده هناك، حيث هرب من الله.

صورة مرفقة الصفحة 378 من كتاب Bedjan Homiliae Selectae Volume 4 الصادر عام 1908, المقالة 122 ليعقوب السروجي


378